Coptology

ⲥⲁⲛⲱⲱⲩ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ

أُنشودة

للإله المتجســـــــد

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠٢٢

www.coptology.org

كل يوم هو عيدك، كل ساعة هي لك، لأنك معنا (متى ١ : ٢٣)، إذ صرت منا عندما تجسدت، ولكن ليس منا فقط، بل بالروح القدس (متى ١ : ٢٠).

كنا غارقين في التراب، منه نأكل وإليه نعود. حياتنا سجينة الماضي، والمستقبل هو القبر. أسوار الإثم حولنا، والضياع لحن أحزاننا الدائمة.

حررنا يا سيد من الإثم القديم الذي لصق بنا. والذي لا يراه من يظنون أنهم أذكياء وهو يملأ الشوارع، يباع في الدكاكين وعلى صفحات الجرائد.

أنقذنا من التشامخ وتحجر الإرادة، وكل أقنعة الألوهة الكاذبة التي سرت فينا من آدم، يوم اشتاق إلى مقامك الكريم، ففقد انسانيته، وورث حلم الألوهة فقط. آدم بيننا بل فينا، يقود التمرد ويجمع العصاة، ويعطي ثوب الألوهة لكل أكاذيب الشر، يرفض الحوار لكي تسود "الأنا" وكل أنا شقاء الإنفصال، وضياع الوحدة. فقدنا إنسانيتنا عندما عشقنا مقامك الإلهي، وفقدنا بنوتنا لأننا كرهنا أن نكون مخلوقين فقط.

أما صورتك فينا فقد بدأت تبهت، لأن الزيف الذي فينا قد أفقدنا كل تصور صحيح لك، وكل ادراك لصورتك، وكل منا يظن أنه شيء منك، ولا شيء منك يولد من البهتان (غلاطية ٦ : ٣).

عند مزودك تسقط أقنعة الماضي.

ها أنت ترقد ساكناً مثل أطفال البشر، ولكنك تخلع عن الإنسانية قناع السحر والعرافة، وتطرحه عند أقدام الحيوانات (لوقا ٢ : ٦). وما السحر إلا رغبتنا الآدمية في إخضاع العالم الروحي لمآرب ترابية.

ويسقط قناع القوة المخيف بما فيه من أنياب ومخالب ودماء، لأن قوتنا

قادتنا إلى الحروب والقهر.

وعند مزودك يخلع العارفون بفســـاد القوة قناع القوة إلى الأبد. هناك نحطم كل أدوات القهر، لأن القهر يخلق الغواية لا الرأي، وينمي النفاق.

عند مزودك انتهت إلى الأبد دعوة نشر الايمان بالقوة، لأنك بذاتك جئت. وبعد مجيئك في شكل البشر، من يمكنه أن يرفع سيفاً لكي يقنع الناس بمجيئك؟!

كان الإنسـان يهواك بطريقته، نحت لك التماثيل لتكون طوع يديه، وبنى المعابد لكي يحفظك قريباً منه، أو ترفع عن كل هذا فاعطاك السـماء فقط وأخذ الأرض منك.

لكنك بتجسدك كشفت كل هذا الزيف، ومزقت كل هذه الأقنعة. أظهرت لنا جبروت المحبة التي تقنع بالبذل لا بالضـــرب، وتقترب لتشـــارك دون أن تفقد جوهرها.

جئت من السـماء إلى الأرض لأن كليهما لك. لم ترض بالسـماء وحدها لئلا تصبح الأرض غريبة عنك، كأنها وكل ما فيها ليست لك.

حطمت كل صور الإله الزائفة.

زالت صـــورة الخوف الذي بعثته فينا الخطية لأنك بذاتك جئت وقبلت شـــكلنا. أما صـــورة الإنتقام التي طبعتها فينا القســـوة، فقد زالت من قلوب الذين اختبروا مغفرتك فقط، فأزالوا القسوة من بينهم.

وصـــورة التشـــامخ والكبرياء التي أخذناها عن ملوك الأرض والآلهة الكاذبة، قد دفنت تماماً في ذلك النزل من بيت لحم، حيث قبرت العظمة وكل أشكالها، ونبتت شجرة التواضع والمصالحة (٢كورنثوس ٥ : ٢٠-٢١).

تجســـدك حوار دائم معنا. ليس حوار الكلمات فقط، بل حوار الحضـــور الدائم.

في تجسدك أخذت أكثر الصفات شيوعاً بين البشر. أخذت صورة العبد والفقير والغريب والجائع. لأن بؤساء البشر هم الأغلبية.

صار كل بؤسنا تذكاراً دائماً لحضورك، وشهادة صامتة عنك، وحواراً مع أصحاب الأمتعة.

تجسدك عجيب، ولكن صمتك أعجب. تركت الآخرين يتحدثون عنك، ليس لأنك ملتزم بكل صفات الطفولة ومميزات الطبيعة الانسانية، وانما لأنك في صمتك تعطي لمن حولك فرصة للتأمل والتفكير، لأنك متواضع.

بحث عنك الرعاة، ووجدوك. أما هيرودس فقد فقدك إلى الأبد. ولو عبرت أمام عرشه، لما رآك. لأن فقرك وتواضع مريم وبرارة يوسف، لا توحي بالخطر.

ما أشـــبه اليوم بالأمس، لا زال كل هيرودوس يبحث عنك ليقتلك. ولكنك تختفي مع الضعفاء، فلا يعثر عليك الأقوياء.

الفريســـيون لا زالوا يبحثون في الكتب عنك وهم يعرفون على الأقل أنك جئت، ولكن كل النصوص لا تدلهم عليك. لأنك لست فكرة. لا، ولا نظرية، ففي أي كتاب نجد أن الكلمة تجسد (يوحنا ١ : ١٤).

لقد تحدثت أنا، ولكن أنت تعرف أن كل الحروف والكلمات هي حفنة من هباء، لأنك أنت وحدك "الكلمة" وشـــعاع معرفة الآب تحدث أنت الآن أيها المتواضع الوحيد، الذي وحده يسمع أولاً (يعقوب ١ : ٢٠).

\+ + +